الكَلِمُ الطَّيِّبُ
السنة ١١
العدد ٣٢
صيف - خريف ٢٠١٥م
ملف العدد

جنّة الإنسان في القرآن والسنّة

الشيخ حسين عنيسي[١]

مقدّمة:

غير خفي على كلّ ذي عقل ودين، ما للجنّة من أهمّيّة كبرى؛ حيث يطلبها الإنسان وينجذب إليها ويسعى إليها سعيها؛ لأنّه يرى فيها حياة خالية من الكدر ومنغّصات العيش المنتشرة بشكل واسع بين أطياف المجتمع الإنساني وألوانه، ولا يستطيع أحد أن يدرك حقيقة الجنّة، وإن قيل في وصفها ما قيل؛ ذلك أنّ كلّ شيء من الدنيا سماعه أعظم من عيانه، وكلّ شيء من الآخرة عيانه أعظم من سماعه[٢]، وقد ورد في الحديث القدسي على لسان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «**أعددت لعبادي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**»[٣]، ما يعني بوضوح أنّ ما أعدّه الله لعباده فوق التصوّر ولا تطاله عقول البشر، وإذا سأل سائل: لماذا خلق الله الإنسان في دنيا تضطرب بالآلام والأسقام والأمراض والظلم والطغيان، ومع ذلك يبالغ الإنسان الظالم لنفسه في تشويه صورتها بعد أن كفر بالله وزحزح نفسه عن الجنّة، وألقى بكلّه في أحضان الشيطان وغاص في مستنقعات الرذيلة؟! يأتيه الجواب حينئذٍ أنّ

---

١) ماجستير في الفقه والأصول، جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالميّة، طالب في السطح الرابع في الجامعة نفسها.

٢) عبده، محمد: شرح نهج البلاغة، ط٤، دار البلاغة، بيروت، ١٤٢٣هـ.ق، ج١، ص: ٢٢٥.

٣) الكفعمي، ابراهيم : محاسبة النفس، ط١، تح: الشيخ فارس حسون، مؤسسة قائم آل محمد عليه السلام، قم، ١٤١٣هـ.ق، ص: ١١٧.

اللّه خلق الإنسان للآخرة لا للدنيا، للسعادة لا للشقاء، وللبقاء لا للفناء؛ فالدنيا دار ممرّ واختبار وامتحان وابتلاء، وهي مزرعة الآخرة؛ وقد كان كثير من المؤمنين في زمان النبي صلى الله عليه وآله وحتى في زماننا يتمنّون الموت قتلاً في سبيل اللّه؛ ليضمنوا دخول الجنّة وينالوا رضا اللّه – تعالى – الذي هو غاية الغايات؛ بما عرفوه يقيناً من القرآن الكريم ممّا أعده اللّه للشهداء. قال – تعالى-: ﴿**إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[1]، وما ورد في الأخبار المتضافرة التي تعِدُ وتمنّي الشهداء بجزيل الأجر والثواب والحصول على مراتب عالية في الجنّة؛ منها: ما ورد عن رسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «**ما من أحد يدخل الجنّة يحبّ أن يرجع إلى الدنيا وأنّ له ما على الأرض من شيء، غير الشهيد؛ فإنه يتمنّى أن يرجع فيقتل عشر مرات؛ لما يرى من الكرامة**»[2]، وهذا ما يبرز أهمّيّة الجنّة بشكل واضح.

أولاً: مفهوم الجنّة:

أصل الجَنّ هو «**الستر والتستر**»[3]، وهذا هو المعنى الأصلي للمادة التي اشتقّ منها لفظ الجنّة، وهو القدر المعنوي الذي تشترك فيه كلّ الألفاظ التي ترجع إلى المادة نفسها، وإنْ اختلفت في نواحٍ أخرى زائدة على المعنى الأصلي تبعاً للمورد الذي استعمل فيه اللفظ. فـ «**الجُنّة فعلة كاللقمة بمعنى ما يجنّ به أي ما يغطّى به من ترس أو سلاح آخر (...)، ويستعمل في ضعف واختلال يغطّي العقل وهو الجنون. والجَنّة فعلة مصدر للمرّة يطلق على حديقة مغطّاة بالأشجار الملتفّة، فكأنّها قد غُطّيت مرتبة واحدة ودامت تغطيتها: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى**

---

1) سورة التوبة، الآية: ١١١.

2) النوري، حسين: **مستدرك وسائل الشيعة**، ط٢، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، بيروت، ١٤٠٨هـ.ق، ج١١، ص: ١٣.

3) ابن فارس، أحمد بن زكريّا: **معجم مقاييس اللغة**، تحـ. عبد السلام هارون، لا ط، مكتبة الاعلام الاسلامي، قم، ١٤٠٤هـ.، ج١، ص٤٢١

كَوْكَباً﴾؛ أي غطّى الليل ظلمته وآثاره عليه، أو غطّى الليل نفسه عليه: **﴿إِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ﴾**؛ أي كنتم مغطّين في البطون. **﴿اتَّخَذُوا أَيْمانَهُمْ جُنَّةً﴾** يغطّون أنفسهم بالحلف اللفظي حتّى يكونوا محفوظين في ظلّ ذلك، ويجعلونه مجنّة»[١].

والقرآن الكريم تحدّث عن حدائق الدنيا وأسماها جنّة، قال -تعالى-: **﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ (...)﴾**[٢]، وقال -سبحانه- أيضاً: **﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾**[٣]، وقال في موضع ثالث: **﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾**[٤].

وعليه، يكون معنى الجنّة حسب المعنى اللغوي -مع لحاظ معنى الستر والتستّر- «**كل بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض**»[٥]. وفي الاصطلاح هي اسم علم لدار النعيم التي وعد الله بها عباده المؤمنين في الآخرة، وسميت بذلك إما لشدّة التفاف أشجارها وظلالها الوارفة، وإمّا لستر نعيمها عنّا؛ حيث لا **﴿تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[٦].

ثانياً: جنّة آدم عليه السلام:

كثرت الأقوال في الجنّة التي أسكنها الله -تعالى- آدم عليه السلام، حتى وصلت إلى أربعة أقوال:

١- **القول الأوّل**: إنها من بساتين الأرض لوجوه:

- إنها لو كانت دار الخلد لما خرج منها آدم عليه السلام؛ لقوله -تعالى-: **﴿وَمَا هُمْ**

---

١) مصطفوي، حسن: **التحقيق في كلمات القرآن الكريم**، ط١، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ١٤١٧هـ، ج٢، ص١٢٣.
٢) سورة سبأ، الآية: ١٥.
٣) سورة سبأ، الآية:١٧
٤) سورة الكهف، الآية: ٤٠.
٥) الأصفهاني، الحسين بن محمد: **المفردات في غريب القرآن**، ط٢، منشورات طليعة النور، ١٤٢٧هـ، ص٩٨
٦) سورة السجدة، الآية: ١٧.

مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[١] ولقوله أيضاً: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾[٢].

- إنّ جنّة الخلد لا يفنى نعيمها؛ لقوله -تعالى- : ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾[٣].
- لو كانت جنّةَ الخلد، لكان آدم عليه السلام عالماً بها، ولمّا وصل إليها إبليس بوسوسته[٤]، وإبليس مع غضب رب العالمين ما كان يقدر أن يدخلها.
- لا يجوز في حكمته -تعالى- أن يبتدئ الخلق في جنّة يخلّدهم فيها ولا تكليف؛ لأنّه -تعالى- لا يعطي جزاء العاملين من ليس بعامل.
- لا نزاع في أنّ الله -تعالى- خلق آدم في الأرض ولم يذكر في هذه القصّة أنّه نقله إلى السماء، ولو كان -تعالى- قد نقله إلى السماء لكان ذلك أولى بالذكر؛ لأنّ نقله من الأرض إلى السماء من أعظم النعم، فدلّ ذلك على أنّه لم يحصل، وذلك يوجب أن يكون المراد بالجنّة التي قال الله -تعالى- له: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾[٥]، جنةً أخرى غير جنّة الخلد[٦].

ويؤيّد هذا القول روايات، منها: ما روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه سُئل عن جنّة آدم؛ أمن جنان الدنيا كانت أم من جنان الآخرة؟ فقال: «**كانت من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس والقمر، ولو كانت من جنان الآخرة ما أخرج منها أبداً ولم يدخلها إبليس**...»[٧]، وروى الشيخ الكليني المضمون نفسه بسند آخر[٨].

---

١) سورة الحجر، الآية: ٤٨.

٢) المجلسي، محمد باقر: **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٢هـ، ج١١، ص: ١٤٤.

٣) سورة الرعد، الآية: ٣٥.

٤) راجع: الطوسي، محمد بن الحسن: **التبيان في تفسير القرآن**، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٩هـ، ج١، ص ١٥٦.

٥) سورة البقرة، الآية: ٣٥.

٦) راجع: الرازي، محمد بن عمرو: **مفاتيح الغيب**، ط١، دار الحديث، بيروت، ١٤١٥هـ، ج١، ص: ٤٥٢.

٧) القمي، علي بن إبراهيم : **تفسير القمي**، تح. السيد طيب الموسوي الجزائري، ط٣، دار الكتاب، قم، ١٤٠٤هـ، ج١، ص٤٣.

٨) راجع: الكليني، محمد بن يعقوب: **الأصول من الكافي**، تح. علي أكبر غفاري. ط٣، دار الكتب الإسلامية، طهران،، ١٣٦٧هـ. ش، ج٣، ص ٢٤٧.

٢- **القول الثاني**: ذهب إلى أنّها جنّة الخلد، واحتجّ أصحابه على ذلك بأنّ الألف واللام للعهد، والمعهود المعلوم بين المسلمين هو جنّة الخلد، والمتبادر منها هو جنّة الخلد حتى صار كالعلم لها، فوجب الحمل عليها؛ ولا يمكن أن يراد بها العموم؛ لأنّ سكنى جميع الجنان محال[1].

ودعوى من قال إنّ جنّة الخلد من دخلها لا يخرج منها لا يصح؛ لأنّ معنى ذلك أنّه إذا استقر أهل الجنة في الجنة للثواب، وأهل النار للعقاب لا يخرجون منها، وأما قبل ذلك فإنّها تفنى؛ لقوله -تعالى-: ﴿**كُلُ شَيءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ**﴾، وقال بعض المفسرين: «**إنّ خروج اثنين أو ثلاثة لا ينافي الخلدية إذا قوبل بخلود الكثيرين فيها من أوّل الدهر إلى آخره؛ بل وحتى لو فرضنا أنّ الخروج منها غير جائز بحال، فإن ذلك يصحّ لمن دخلها بما عمل الصالحات، لا بالنسبة إلى من بدأ الله خلقه فيها، أو أدخله فيها لمصلحة اقتضت ذلك مؤقّتاً**»[2]، وأما وسوسة إبليس فيجوز أن تكون من خارج الجنة فيسمعان خطابه ويفهمان كلامه[3]، ويؤيد هذا القول كلام أمير المؤمنين عليه السلام في اصطفاء الله لآدم عليه السلام وتوبته عليه وتقريبه إياه، و«**وعده المردّ إلى جنّته**»[4]؛ بأن يكون مآله الخلود في الجنّة التي خُلقَ فيها، فيلزم أن تكون هي نفسها جنّة الخلد التي يُثاب بها الصالحون.

٣- **القول الثالث**: هي جنّة من جنان السماء غير جنّة الخلد، واحتجّ صاحب هذا القول بأنّ جنّة الخلد أكلها دائم ولا تكليف فيها، وآدم عليه السلام قد كُلّف بعدم الاقتراب من الشجرة[5]، وبأنّ قوله -تعالى- ﴿**اهْبِطُواْ مِنْهَا**﴾[6] يدل على الإهباط من السماء إلى الأرض وليست بجنة الخلد، ولكن أجيب عليه بأنّ

---

١) راجع: الرازي، م. س، ج١، ص ٤٥٢.

٢) السبزواري، محمد النجفي: **الجديد في تفسير القرآن**، ط١، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٢هـ، ج١، ص ٦٥.

٣) راجع: الشيرازي، محمد بن إبراهيم: **تفسير القرآن الكريم**، ط٢، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤١٩هـ، ج٤، ص ٨٥.

٤) نهج البلاغة، م. س، ص٧٧.

٥) راجع الطبرسي، الفضل بن الحسن: **مجمع البيان**، ط١، دار الأعلمي، بيروت، تحقيق لجنة من العلماء، ج١، ص: ١٦٨.

٦) سورة البقرة، الآية: ٣٩.

الانتقال من أرض إلى أخرى قد يسمى هبوطاً كما في قوله -تعالى- مخاطباً قوم موسى عليه السلام: ﴿**اهْبِطُوا مِصْراً**﴾[١]، فيكون الهبوط مقامياً.

ولكن الظاهر من هذه الآية ﴿**اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**﴾ أنّ الهبوط كان من غير الأرض، ويؤيده سؤال الشاميّ لأمير المؤمنين عن أكرم واد على الأرض فقال عليه السلام: «**سرنديب سقط فيه آدم من السماء**»[٢]، «**ومن هنا يمكن أن يجزم أنّ جنّة آدم كانت في السماء، وإن لم تكن جنّة الآخرة جنّة الخلد التي لا يخرج منها من دخل فيها**»[٣].

٤- **القول الرابع**: إنّ الكلّ ممكن، لكنّ الأدلة النقلية ضعيفة، فوجب التوقّف[٤].

وكما ترى، فالأقوال الثلاثة الأولى أدلّتها متينة ومن الصعب الركون إلى قول معين.

ويمكن الجمع بين القولين الأول والثالث؛ حيث يقال: إن معنى كون جنة آدم من جنان الدنيا هو كونها برزخية في مقابل جنان الخلد، كما يشير إليه بعض فقرات الرواية التي تحدّثت عن هبوط آدم على الصفا، ونزول حواء على المروة، فيكون المكث في البرزخ بعد الموت مكثا في الأرض طبقا لما في آيات البعث من القرآن من عد المكث البرزخي مكثا في الأرض كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿**قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ۞ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ۞ قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾، على أن عدة من الروايات المنقولة عن أهل البيت عليهم السلام تدل على أن الجنة كانت في السماء، وأنهما نزلا من السماء، والمستأنس بلسان الروايات لا يستوحش من كون الجنة المذكورة في السماء والهبوط منها إلى الأرض مع كونهما خلقا في الأرض وعاشا فيها، كما ورد في كون الجنة في السماء ووقوع سؤال القبر فيه وكونه روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار[٥].

---

١) سورة البقرة، الآية: ٦١.

٢) الصدوق، عيون أخبار الرضا، م. س، ج١، ص٢٢١.

٣) الطباطبائي، م. س، ج١، ص١٣٥.

٤) راجع: الرازي، م. س، ج١، ص٩٩..

٥) راجع: الطباطبائي، م. س، ج١، ص١٤٠.

ثالثاً: جنّة البرزخ:

البرزخ لغةً هو «**الحاجز بين الشيئين**»[١].

وفي الاصطلاح هو تلك الحياة الفاصلة بين حياة الدنيا الزائلة وبين حياة الآخرة الأبدية، وبهذا فُسّر قوله -تعالى- : ﴿**وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾[٢][٣] وهي مدّة مفارقة الروح لهذا الجسد المحسوس إلى يوم القيامة، ويطلق على القبر بهذا الاعتبار.

يتفق علماء الإسلام على أصل وجود عالم البرزخ وما يقع فيه من نعمة ونقمة مع بعض الاختلافات الجزئية بين هؤلاء العلماء، ويتفق علماء الشيعة والسنة على وجود عالم البرزخ، باستثناء عدد قليل غير ملحوظ[٤].

ويُستدلّ على وجود عالم البرزخ بعدّة من الآيات القرآنية والروايات الشريفة، فمن الآيات قوله - تعالى- : ﴿**لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾[٥]، وقوله -تعالى- في الآية الخاصّة بالشهداء: ﴿**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾[٦]، والآية التي تخاطب جميع المؤمنين: ﴿**وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ**﴾[٧].

والبرزخ لا يختصّ بالمؤمنين فقط؛ بل يشمل الكافرين، كما في قوله -تعالى-: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾[٨]، ومن الواضح أنّ المراد بالنار في هذه الآية نار البرزخ؛ لأنّ الآخرة ليس

---

١) الجوهري، إسماعيل بن حماد: **تاج اللغة وصحاح العربية**، تحـ. أحمد عبد الغفور العطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج١، ص٤١٩.

٢) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٠.

٣) راجع: الطباطبائي، م. س، ج١٥، ص٦٨.

٤) الشيرازي، **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل**، م. س، ج ١٠، ص: ٥١٣.

٥) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٠

٦) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

٧) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

٨) سورة غافر، الآية: ٤٦.

فيها غدوٌ وعشي، ومنها قوله - تعالى-: ﴿**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَاراً**﴾[1]، قال العلامة الطباطبائي: «**ومن لطيف نظم الآية الجمع بين الإغراق بالماء وإدخال النار، والمراد بالنار نار البرزخ التي يعذب بها المجرمون بين الموت والبعث دون يوم القيامة**»[2].

ومن الروايات الكثيرة نكتفي بما أورده الكليني عن عمرو بن يزيد قال: «**قلت لأبي عبد الله**عليه السلام**: إنّي سمعتك وأنت تقول: كلّ شيعتنا في الجنّة على ما كان منهم؟ قال صدقت، كلهم والله في الجنة، قال: قلت: جعلت فداك إن الذنوب كثيرة كبار؟ فقال: أمّا في القيامة فكلّكم في الجنّة بشفاعة النبي أو وصي النبي، ولكنّي أتخوّف عليكم في البرزخ، قلت: وما البرزخ؟ قال: القبر منذ حين موته إلى يوم القيامة**»[3].

يجد المتتبّع للروايات الشريفة عن جنّة البرزخ أنّ الله -تعالى- قد أعدّ برنامجاً خاصّاً لأهل النعيم، كلٌّ بحسب عمله الذي اجترحه في دار الدنيا، لكن لا بدّ -أوّلاً- من ذكر مكان هذه الجنة، ثم نعقّب بعدها بذكر النعم التي أعدّها الله -تعالى- لعباده المؤمنين بعد الموت.

فقد ورد عن ضريس الكناسي أنّه قال: «**سألت أبا جعفر**عليه السلام **عن الناس، يذكرون أنّ فراتنا يخرج من الجنة، فكيف هو وهو يخرج من المغرب وتصب فيه العيون والأودية؟ قال: فقال أبو جعفر**عليه السلام**: إن لله جنةً خلقها الله في المغرب وماء فراتكم هذه يخرج منها، وإليها تخرج أرواح المؤمنين من حفرهم عند كلّ مساء، فتسقط على ثمارها وتأكل منها وتتعارف...**»[4].

يمكن أن نستفيد من هذه الرواية أنّ جنّة البرزخ مكانها العراق، وأخرى حدّدتها في وادي السلام بظهر الكوفة، حيث الأرواح حلقاً حلقاً يتحدّثون[5].

١) سورة نوح، الآية: ٢٥.

٢) الطباطبائي، م. س، ج ٢٠، ص: ٣٦.

٣) الكليني، م. س، ج٣، ص: ٢٤٣.

٤) م. ن.

٥) راجع: الكليني، م. س، ج٣، ص ٢٤٣.

إن أولى النعم التي أنعم الله بها على المؤمنين، هي إيداعهم في حجرات الجنات يأكلون ويشربون ويتزاورون، فعن إبراهيم بن إسحاق الجازي قال: «**قلت لأبي عبد الله**عليه السلام**: أين أرواح المؤمنين؟ فقال: أرواح المؤمنين في حجرات في الجنّة، يأكلون من طعامها، ويشربون من شرابها، ويتزاورون فيها، ويقولون: ربنا أقم لنا الساعة لتنجز لنا ما وعدتنا**»[1].

ومن النعم وجود أنهار من ماء ولبن وخمر، فعن عبد الله بن سنان أنّه سأل الإمام الصادقعليه السلام عن الحوض، فقالعليه السلام: «**نعم، ثم خرجا إلى ظهر المدينة وضرب الإمام**عليه السلام **برجله الأرض، فكشف عن بصر عبد الله فرأى نهراً لا تدرك حافتاه، فنظر إليه فرآه أشدّ بياضاً من الثلج وفي وسطه خمر أحسن من الياقوت فسأل عن ذلك، فأجابه الإمام بأنّ هذه هي العيون التي ذكرها الله -تعالى- في كتابه، ثم رأى على حافتي النهر حور معلقات بشعرهن ما رأى أحسن منهن، بيدهنّ آنية ما رأى آنية أحسن منها، فأومأ الإمام بيده إلى إحداهن فمالت لتغرف له فمال الشجر معها، فناولت الإمام فشرب، ثم أومأ إلي أخرى فناولته فشرب عبد الله، فلم يذق ألذّ من هذا الشراب الممزوج في كأسه بثلاثة ألوان، فتعجب عبد الله، فقال له الإمام: هذا أقل ما وعده الله لشيعتنا، إنّ المؤمن إذا توفي صارت روحه إلى هذا النهر ورعت في حياضه وشربت من شرابه**»[2].

أما نشاط أهل جنة البرزخ، فإن أولى نشاطاتهم أنهم إذا طلع الفجر انطلقت الأرواح إلى الفضاء فتتعارف، ففي تكملة رواية ضريس الكناسي السابقة «**...فإذا طلع الفجر هاجت من الجنة فكانت في الهواء بين السماء والأرض تطير ذاهبة وجائية، وتعهد حفرها إذا طلعت الشمس وتتلاقى في الهواء وتتعارف**»[3].

---

١) البرقي، أحمد بن محمد بن خالد: **المحاسن**، لا.ط، تع. السيد جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٠هـ، ج١، ص ١٧٩.

٢) المفيد، محمد بن محمد: **الاختصاص**، تح. علي أكبر غفاري، ط٢، دار المفيد، بيروت، ١٤١٤هـ، ص ٣٢٢.

٣) الكليني، م. س ج٣، ص ٢٤٣.

وفي ليلة الجمعة تجتمع الأرواح عند صخرة بيت المقدس، ففي تفسير القمي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**كان في ما سأل ملك الروم الحسن بن علي عليه السلام أن سأله عن أرواح المؤمنين أين يكونون إذا ماتوا؟ قال: «تجتمع عند صخرة بيت المقدس ليلة الجمعة وهو عرش الله الأدنى، منها يبسط الله الأرض وإليها يطويها وإليه المحشر...**»[١].

وفي يوم الجمعة والعيدين تجتمع الأرواح في عرصات الجنان لتزور أهلها، وهذا ما ورد في كتاب زيد النرسي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «**إذا كان يوم الجمعة ويوما العيدين، أمر الله رضوان خازن الجنة أن ينادي في أرواح المؤمنين وهم في عرصات الجنان: إنّ الله قد أذن لكم الجمعة بالزيارة إلى أهليكم وأحبّائكم من أهل الدنيا، ثمّ يأمر الله رضوان أن يأتي لكلّ روح بناقة من نوق الجنة... فيركبون تلك النوق، ثم يجتمعون في العرصة، ثم يأمر الله جبرائيل أن تستقبلهم ملائكة كلّ سماء لتشيعهم إلى السماء الأخرى، فينزلون بوادي السلام ويتفرّقون في البلدان ليزوروا أهليهم، ومعهم ملائكة تصرف وجوههم عمّا يكرهون النظر إليه، ثمّ ينادي بهم جبرائيل بالرحيل إلى غرفات الجنان...**»[٢].

هذا بعض ما ورد بشأن النعيم البرزخي، ولعلّ ثمّة أخباراً أخرى لم نطّلع عليها، نسأل الله - تعالى- أن يقينا عذاب البرزخ ويدخلنا في جنانه مع النبيين والشهداء والصادقين وحسن أولئك رفيقاً.

رابعاً: الجنة الأخروية:

١- حقيقة الجنة الأخروية:

تحدّث القرآن الكريم عن جنّة الآخرة في عديد من آياته المباركة، ووصف نعيمها وأصحابها، وميّز بين درجاتها، وبيّن طرق وصالها، وحثّ على العمل

---

١) القمي، م. س، ج٢، ص٢٧١.

٢) المجلسي، م. س، ج٦، ص ٢٩٢.

لها. ونعتها بأسماء وأوصافٍ عدّة، وتارة عبّر عنها بصيغة المفرد وأخرى بصيغة الجمع.

وللوقوف أكثر على موارد جنّة الآخرة في القرآن، نذكر الآيات الكريمة؛ حسب التسميات التي أُطلقت على الجنّة:

- **الجنة:**

قد مرّ تعريف هذه الكلمة في اللغة والاصطلاح؛ وقد وردت في القرآن الكريم مجرّدة عن أيّ وصفٍ بصيغة المفرد والجمع في مواضع مختلفة؛ قال -تعالى-: **﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرا﴾**[١]، و**﴿...وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾**[٢]، و**﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾**[٣] و**﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾**[٤]، وغيرها من الآيات الكثيرة.

- **جنّات عدن:**

الله -تعالى-: **﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**[٥]، و**﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾**[٦].

والعدن مصدر بمعنى: «**استقرار وثبات، وعدن بمكان كذا استقر، ومنه المعدن لمستقر الجواهر**»[٧].

١) سورة الإنسان، الآية: ١٢.
٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢١.
٣) سورة النساء، الآية: ١٢٤.
٤) سورة الحجر، الآية: ٤٥.
٥) سورة التوبة، الآية: ٧٢.
٦) سورة الرعد، الآية: ٢٣. وراجع: سورة النحل، الآية: ٣١؛ سورة الكهف، الآية: ٣١؛ سورة مريم، الآية: ٦١؛ سورة طه، الآية: ٧٦. سورة فاطر، وغيرها من الآيات الكريمات.
٧) الأصفهاني، م.س، ص٣٢٦.

- **جنّة الفردوس:**

قال -تعالى-: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا**﴾[1]، وقال -عزّ وجلّ- أيضاً: ﴿**الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[2].

والفردوس كلمة «**مأخوذة من العربيّة والسريانيّة والآراميّة، وكانت مستعملة في هذه اللغات، ثمّ نقلت إلى العربيّة، بتغيير متناسب، بمعنى الجنّة الوسيعة ذات الأشجار والفواكه. والكلمة تناسب مادّة فرد؛ فإنّ الواو والسين يدلّان على السعة والامتداد، وهذه الجنّة متفرّدة ليس لها معادل**»[3].

- **جنّة الخلد:**

قال -تعالى-: ﴿**قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا**﴾[4].

- **جنّة النعيم:**

قال -تعالى-: ﴿**وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ**﴾[5]، وقال: ﴿**أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ**﴾[6]، و﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ**﴾[7].

- **جنّة المأوى:**

قال -تعالى-: ﴿**أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا**

---

١) سورة الكهف، الآية: ١٠٧.

٢) سورة المؤمنون، الآية: ١١.

٣) مصطفوي: م. س، ج٩، ص٥٢.

٤) سورة الفرقان، الآية ١٥.

٥) سورة الشعراء، الآية: ٨٥.

٦) سورة المعارج الآية: ٣٨.

٧) سورة المائدة، الآية: ٦٥. راجع: سورة يونس، الآية: ٩؛ سورة الحج، الآية: ٥٦؛ سورة لقمان، الآية: ٥٨؛ وغيرها من الآيات الكريمات.

بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١]، وقال أيضاً: ﴿**عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى**﴾[٢].

وعبّر القرآن عن الجنّة الأخروية أيضاً بـ: «**الدار**»:

- **دار السلام:**

قال -تعالى-: ﴿**لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[٣] و﴿**وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[٤].

- **دار المقامة:**

قال -تعالى-: ﴿**الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ**﴾[٥].

إذاً، يُستفاد من تعدّد أسماء الجنّة من جهة، ومجيئها في بعض الآيات بصيغة الجمع من جهة أخرى، أن ثمّة جناناً متعدّدة، لا جنّة واحدة؛ ولعلّ السبب في ذلك أنّ كلّ جنّة من هذه الجنان يتوقّف الدخول عليها على نوع معيّن من العمل، أو على درجة محدّدة من الإيمان والقرب الإلهي. ولا يُكتفى في إرجاع سبب هذا التعدّد إلى كونه من باب تسمية الشيء بحيثية من حيثياته الوجودية في مناسبة تقتضي ذكر هذه الحيثية دون غيرها. وهذا ما يمكن استيحاؤه من بعض الأحاديث المرويّة عن أهل البيت عليهم السلام؛ حيث ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «(...) **أمّا الجنان المذكورة في الكتاب فإنهنّ جنّة عدن وجنّة الفردوس وجنّة النعيم وجنة المأوى، قال: وإنّ لله -عزّ وجلّ- جناناً محفوفة بهذه الجنان**(...)»[٦]. وعلى الرغم من أنّ هذه الرواية لم تتعرّض إلى العلّة التي من أجلها تعدّدت الجنان، ولكنّها تؤكّد على أنها ليست واحدة.

---

١) سورة السجدة، الآية: ١٩.

٢) سورة النجم، الآية:١٥.

٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢٧.

٤) سورة يونس، الآية: ٢٥.

٥) سورة فاطر، الآية: ٣٥.

٦) الكليني، م. س، ج٨، ص١٠٠.

٢. هل الجنّة الأخروية موجودة الآن؟

اختلفت الأقوال في خلق الجنّة والنار، فذهب أكثر المعتزلة والخوارج وفرقة من الزيدية إلى إنكار خلقهما[١]، وأنّهما سيخلقان عند قيام الأجساد، واختلفوا في تعليل قولهم هذا، فقال أبو هاشم بن الجبائي: «**إنّ ذلك محال؛ لأنّه لا بدّ من فناء العالم قبل نشره وفناء بعض الأجسام فناء لسائرها، وقد انعقد الإجماع على أنّ الله -تعالى- لا يفني الجنّة والنار، وقال الآخرون -وهم المتقدّمون لأبي هاشم- خلقهما في هذا الوقت عبث لا معنى له، والله -تعالى- لا يعبث في فعله ولا يقع منه الفساد**»[٢]، ويحملون الآيات التي دلّت على أنّ آدم كان في الجنّة وأخرج منها، على بستان من بساتين الدنيا، قالوا: والهبوط لا يدلّ على كونهما في السماء؛ لجواز أن يكون في الأرض، إلا أنّهما في موضع مرتفع عن سائر الأرض[٣].

أمّا غير هؤلاء من مشايخ المعتزلة فقالوا: «**إنهما (الجنّة والنار) مخلوقتان الآن، واعترفوا بأنّ آدمعليه‌السلام كان في جنّة الجزاء والثواب، وقالوا: لا يبعد أن يكون في إخبار المكلّفين بوجود الجنّة والنار لطف لهم في التكليف، وإنما يحسن الإخبار بذلك إذا كان صدقاً، وإنما يكون صدقاً إذا كان خبره على ما هو عليه**»[٤].

وذهب أكثر الإمامية والأشاعرةُ إلى أنّهما مخلوقتان[٥]، واستشهدوا على ذلك ببعضٍ من الآيات القرآنية والأحاديث المروية:

أ. الشواهد القرآنية:

منها قوله -تعالى-: **﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ**

---

١) راجع: المفيد، محمد بن محمد: **أوائل المقالات في المذاهب والمختارات**، تحـ. الشيخ إبراهيم الأنصاري، ط٢، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣هـ، ص١٢٤.

٢) م. ن، ص١٢٤.

٣) راجع: التفتازاني، سعد الدين: **شرح المقاصد في علم الكلام**، تحـ. وتعـ. د. عبد الرحمن عميرة، ط١، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ج٢، ص٢١٨.

٤) المعتزلي، ابن أبي الحديد: تحـ. محمد أبو الفضل إبراهيم: **شرح نهج البلاغة**، ط١، دار إحياء الكتب العربية، لا مكان، ١٣٧٨هـ ش/ ١٩٥٩م، ج١، ص: ١٠٩.

٥) راجع: المفيد، م. س، ص١٢٤

الْمَأْوَى﴾[١]، فرؤية النبيﷺ للجنّة فرع وجودها[٢].

ومنها قوله -تعالى- : **﴿كَلا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾**[٣] أي «**لو كان لديكم علم يقيني لشاهدتم الجحيم، بل لرأيتموها رأي العين**»[٤]، وأمّا القول إنّ هذه الرؤية مرتبطة بعالم الآخرة، فالجواب: أنّه لو كانت كذلك لما احتجنا إلى علم اليقين في الآخرة؛ إذ إنّ الكلّ يرى الجحيم والنار هناك دون الحاجة إلى هذا النوع من العلم.

ومنها قوله -تعالى- أيضاً: **﴿واتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَتْ لِلْكَافِرِينَ﴾**[٥]، وقوله: **﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِكُمْ وَجَنَةٍ عَرْضُهَا السَمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَقِينَ﴾**[٦]؛ حيث يستفاد من هذه الآيات أنّ الجنّة والنار معدّتان فعلاً والآن، وأمّا «**حملها على التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي -مبالغة في تحقّقه، مثل ﴿ونفخ في الصور﴾، ﴿ونادى أصحاب الجنّة أصحاب النار﴾ - فهو خلاف الظاهر، فلا يعدل إليه بدون قرينة**»[٧].

ب. الشواهد الروائيّة:

صرّحت الروايات المتضافرة بأنّ الجنة والنار مخلوقتان، خاصة تلك التي تتحدّث عن عروج النبيﷺ إلى السماء، ودخوله الجنة، ومعاينته لأحوال أهل النار؛ حيث ورد أنّ أبا الصلت الهروي قال: «قلت للإمام الرضا؛: (...) يا بن رسول

---

١) سورة النجم، الآيات: ١٣-١٤-١٥.

٢) هذا بناءً على أنّ الجنة التي رآها النبيﷺ هي جنّة الآخرة وليست جنّة البرزخ؛ حيث إنّ الآية الكريمة وبقرينة الروايات التفسيرية لها تتحدّث عن مشاهدات رسول اللهﷺ حينما عُرج به إلى السماء، وللمزيد من التفصيل راجع: الطباطبائي، محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٧هـ، ج١٩، ص٣٢

٣) سورة التكاثر، الآيات: ٥-٦-٧.

٤) الشيرازي، ناصر مكارم: **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل**، ط١، دار الأميرة، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م ج٢، ص: ٦٩٤.

٥) سورة آل عمران، الآية: ١٣١.

٦) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

٧) التفتازاني، م. س، ج٢، ص ٢١٩.

الله فأخبرني عن الجنّة والنار أهما مخلوقتان؟ فقال: نعم، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد دخل الجنّة ورأى النار لمّا عرج به إلى السماء. قال: فقلت له: إن قوماً يقولون إنهما اليوم مقدّرتان غير مخلوقتين، فقال عليه السلام: لا هم منا ولا نحن منهم، من أنكر خلق الجنّة والنار كذَّب النبي صلى الله عليه وآله وكذَّبنا وليس من ولايتنا شيء، ويخلد في نار جهنّم، قال الله -تعالى-: ﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ وقال النبي صلى الله عليه وآله: «**لمّا عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرائيل عليه السلام فأدخلني الجنّة فناولني من رطبها فأكلته فتحوّل نطفة في صلبي، فلمّا هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة عليها السلام، ففاطمة حوراء إنسية، فكلّما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة**»(1).

وقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «**إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حيث أسري به إلى السماء، لم يمرّ بخلق من خلق الله إلا رأى منه ما يحب من البِشر واللطف والسرور به. حتى مرّ بخلق من خلق الله، فلم يلتفت إليه، ولم يقل له شيئاً، فوجده قاطباً عابساً، فقال صلى الله عليه وآله: يا جبرئيل، ما مرَرْتُ بخلق من خلق الله إلا رأيتُ البِشر واللطف والسرور منه إلا هذا، فمن هذا؟ قال: هذا مالك خازن النار، وهكذا خلقه ربّه. قال: فإنّي أحبّ أن تطلب إليه أن يريني النار. فقال له جبرئيل: إن هذا محمداً رسول الله، وقد سألني أن أطلب إليك أن تريه النار. قال: فأخرج له عنقاً منها فرآها، فما افتر ضاحكاً حتى قبضه الله عزّ وجلّ**»(2).

هذا النوع من الروايات يشير بوضوح إلى مسألة دخول النبي صلى الله عليه وآله إلى الجنّة، وأكله من ثمرها، وشمّه لرائحتها، ورؤية أهلها، وهكذا إلى رؤيته إلى النار، وغير ذلك.

ومن الشيعة من أنكر خلق الجنّة والنار؛ حيث ذهب الشريف الرضي وأخوه إلى أنّهما ستخلقان، واستدلّ الشريف الرضي على ذلك في كتابه «**حقائق التأويل**»

---

1) الصدوق، محمد بن بابويه: **عيون أخبار الرضا**، لا.ط، دار الأعلمي، بيروت، ١٤٠٤هـ.ق، ج٢، ص: ١٠٦-١٠٧.

2) الصدوق، محمد بن بابويه: **الأمالي**، ط١، مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٧هـ، ص٦٩٧.

بقوله -تعالى-: ﴿**أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا**﴾[١]، حيث وصف الجنّة بدوام الأكل والظل، وإذا قرنّا بين هذه الآية وبين الدليل الذي دلّ على أنّ كلّ شيء سوف يفنى، ثبت بذلك أنّ الجنّة باعتبار أنّها تخلق في السماء، فسيطويها الله عندما يطوي السماء طيّ السجل للكتب، فلو كانت الآن مخلوقة فستفنى بفناء كلّ شيء.

أما الأخبار الواردة في أنّ جنّة آدمعليه السلام في السماء وهبط منها إلى الأرض وأنّ الأنبياء ينعمون في الجنان إلى قيام الساعة، فهذه أخبار آحاد غير قادحة، والمراد منها غير جنان الخلد، والجنة في أصل اللغة يعبر بها عن الكروم والرياض والحدائق، وعليه قوله -تعالى- : ﴿**وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ**﴾[٢]، ولا يمتنع كون مثل هذه الجنة في السماء وتكون محلاً للملائكة والأنبياء، ثم تخلق الجنة بعد انقضاء التكليف واستحقاق الثواب، فيكون نعيمها دائماً من غير أن يخلقها الله ثمّ يفنيها.

والأخبار الواردة في أنّ النبيصلى الله عليه وآله قد دخل وشاهد فيها الأشجار والثمار، واجتماعه ببعض الأنبياء، فلا يعتمد عليها في هذا الباب؛ لأنّها أخبار آحاد، وحتى لو ثبت أنها صحيحة، فهي قابلة للتأويل وليست بقوة الدلالة التي ذكرنا؛ بل يحتمل أن تكون هذه الجنة مكاناً للأنبياء والملائكة.

ويضيف الشريف الرضي بأنه لو سأل سائل: كيف يرغِّب الله عباده في جنّة لم يخلقها بعد؟

فالجواب: إن ذلك مقدور له -تعالى-؛ لأنّه على كل شيء قدير، غير متعذّر عليه إيجادها بكلمة كن فيكون، فكما وعدهم -تعالى- بثواب لم يوجده وحسُن ذلك، كذلك يمكنه أن يعدهم بجنّة لم يخلقها ويحسُن هذا الأمر؛ لأنّ وعده صادق وأمره واقع، ولولا الدليل الذي قدّمنا لكان يمكن أن يخلق الله الجنة قبل انقطاع التكليف، لكنّ النقل منع من ذلك[٣].

١) سورة الرعد، الآية:٣٥.

٢) سورة الكهف، الآية: ٣٩.

٣) راجع: الموسوي، محمد (الشريف الرضي): **حقائق التأويل**، ط١، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٦هـ، ص: ٢٤٦-٢٤٧.

ويرد على الشريف الرضي وعلى المعتزلة:

- أنهم حصروا سلطان الله -تعالى- بالسموات والأرض، فهم بذلك قد ضيّقوا سلطان الله، فكل شيء هالك ضمن السموات والأرض، أما ما هو خارج عنهما فمسكوت عنه.
- إنّ القول إنّ خَلْقَ الجنّة والنار قبل يوم القيامة بلا معنى، مردود بالأخبار الدالّة على أنّ الله -تعالى- خلق الجنّة والنار غير مكتملة، والعبد هو الذي يبني مقامه في الجنة أو في النار بأعماله في الدنيا، كما ورد في خبر المعراج عن رسول اللهﷺ أنّه قال: «**لما أُسري بي إلى السماء دخلت الجنة فرأيت فيها قيعاناً، ورأيت فيها ملائكة يبنون لبنة من ذهب ولبنة من فضة وربما أمسكوا، فقلت لهم: ما لكم قد أمسكتم؟ قالوا: حتى تجيئنا النفقة، قلت: وما نفقتكم؟ قالوا: قول المؤمن: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فإذا قال بنينا، وإذا سكت أمسكنا**»[1]، والخبر الوارد عن أبي عبد اللهعليه السلام: «**إن العمل الصالح ليذهب إلى الجنة فيمهّد لصاحبه كما يبعث الرجل غلامه فيفرش له، ثم قرأ: ﴿وَأَمَّا الذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَالِحَاتِ فَلأَنْفُسِهِم يَمْهَدُونَ﴾**»[2].

فالسؤال عن وجود الجنّة والنار ومكانهما مبتنٍ على فرضية كثير من المتكلمين القائلين بخلق الجنّة والنار من كون الجنة والنار في عالم آخر من سُمْك بعض الأفلاك أو ثخنها، ولتوضيح الفكرة أكثر وبيان معنى كون الجنة والنار مخلوقتين وموجودتين الآن ننقل كلاماً لصدر المتألهين بيّن فيه وجود عالم باطني وغيبيّ وهو عالم الآخرة المغاير لهذا العالم وفيه تقع الجنة والنار؛ حيث يقول: «**وأما مكان الجنة والنار، فاعلم أنه ليس لهما مكان في ظواهر هذا العالم؛ لأنّه محسوس، وكل محسوس بهذه الحواس فهو من الدنيا، والجنة والنار من عالم الآخرة،**

---

١) الحر العاملي، محمد بن الحسن الحر: **وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة**، ط٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: عبد الرحيم الرباني، ١٤٠٣هـ، ج٤، ص: ١٢٠٢.

٢) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان: **الأمالي**، تح. حسين الأستاد وليو علي أكبر غفاري، ط٢، دار المفيد، بيروت، ١٤١٤هـ /١٩٩٣م، ص: ١٩٥.

نعم، مكانهما في داخل حجب السماوات والأرض، ولهما مظاهر في هذا العالم وعليها يحمل الأخبار الواردة في تعيين بعض الأمكنة لهما، والنقول والروايات في ذلك كثيرة مختلفة»[١].

إشكالان وردّان:

الإشكال الأوّل: إذا كانت الجنة عرضها السموات والأرض[٢] أو كعرض السموات والأرض[٣]، فكم طولها؟

الجواب:

- ليس المراد من العرض هنا العرض الهندسي؛ بل المراد -كما عليه أهل اللغة- هو السعة[٤]، وعلى ذلك قول النبيﷺ للذين هربوا يوم أحد فراراً من الزحف عند رجوعهم إلى المدينة: «**لقد ذهبتم فيها عريضة**»[٥] أي واسعة، ويعنيﷺ الأرض، والشواهد على ذلك كثيرة جداً[٦].
- المولى ليس في مقام تحديد طولها، بل في مقام تحديد عظمتها، وهناك مثل يقول: «**عقول الناس في عيونهم**»[٧]، فالعرب لا يرون أوسع وأعظم من السموات والأرض، فشبّه المولى الجنّة بعظم السموات والأرض الواقعة تحت الحواس لتقريب الوصف، وقد «نبّه -تعالى- بالعرض على الطول لأنّ الغالب أنّ الطول يكون أكثر من العرض، والطول إذا ذكر لا يدلّ على قدر العرض»[٨]، نظير قوله -تعالى-: ﴿**بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ**﴾[٩]، فدلّنا

١) الشيرازي، محمد بن إبراهيم: الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية، تع. جلال الدين أشتياني، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م، ص٣٠٠.
٢) راجع: سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.
٣) راجع: سورة الحديد، الآية: ٢١.
٤) الشيرازي، م. س، ج٢، ص٤١٤.
٥) الطبري، محمد بن جرير: **تاريخ الأمم والملوك**، لا ط، مؤسسة أعلمي للمطبوعات، بيروت، لا ت، ج٢، ص٢٠٣.
٦) راجع: الشريف الرضي، م. س، ص: ٢٣٩.
٧) راجع: الشيرازي، م. س، ص١٣.
٨) القرطبي، محمد بن أحمد: **الجامع لأحكام القرآن**، تصح. أحمد عبد العليم البردوني، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥ هـ. / ١٩٨٥م، ج٤، ص٢٠٥.
٩) سورة الرحمن، الآية: ٥٤.

سبحانه على جلالة الظهائر بتعظيم قدر البطائن[١].

الإشكال الثاني: إذا كانت الجنة كعرض السموات والأرض فأين النار؟

الجواب: إنّ عالم الآخرة غير محكوم بأحكام الأولى، وإلا فأيّ فرق بين النشأتين؟ فالزمان والمكان من أحكام هذه النشأة؛ لذا يقع فيها التصادم والتزاحم، وليس الأمر كذلك بالنسبة إلى النشأة الآخرة، ألا ترى أنّ الإنسان النائم مثلاً بالقرب من آخر يرى مساحات واسعة من الأرض بما فيها من جبال شامخة وأشجار سامقة من دون أن يزاحم المساحات التي يراها صاحبه الذي ينام بجنبه[٢].

خاتمة:

قد تحصّل مما تقدّم الحديث عن مفهوم الجنة وحقيقتها، وعن النزاع الدائر بين الفرق الإسلامية في مسألة خلقها، وأبرز الوجوه التي علّل بها صاحب كلّ رأي، ووصلنا إلى أنّ الرأي المتّسق مع لسان النص الديني هو كونها مخلوقة، وهو مذهب جمهور المسلمين. ثمّ تحدّثنا عن أنواع الجنان وأسمائها الواردة في النصوص. وعن مكان جنّة آدم عليه السلام، وأنّها أقرب إلى كونها في عالم الدنيا على تفصيل ذُكر في محله. وأنّ الجنة التي ذُكرت في القرآن الكريم والروايات الشريفة ليست ذات مصداق واحد، وإنّما المستفاد منها أنّ لكلّ نشأة جنّتها اللائقة بها، ففي الدنيا حدائق معهودة، وفي البرزخ رياض موصوفة، وفي الآخرة فردوس وغيرها موعودة.

كما إنّ لجنّة الآخرة -وفقاً للروايات الشريفة التي مرّت معنا- قيعاناً، غراسها درجة إيمان المؤمن وصالح عمله، ومن المعلوم أنّ لكلّ نوع غرسٍ حصاداً يلائمه، فأيّ شيء نغرس هناك حتى يكون الحصاد والثمر أكبر وأعظم؟

---

١) راجع: الشريف الرضي، م،س، ص ٢٤٠-٢٤١.

٢) راجع: الحيدري، كمال: **بحوث في علم النفس الفلسفي**، تقر. :الشيخ عبد الله الأسعد، لا.ط، دار كميل، البحرين، لا.ت، ص: ٣٦٥- ٣٦٦.